

الوافي في الوفيات

وأما الدعوة النزارية : فهي نسبة إلى نزار بن المستنصر بالله معد بن الظاهر علي بن الحاكم العبيدي وكان نزار قد بايع له أبوه وبث الدعوة له في البلاد منهم صبايح الدعوة وكان ذا سمت ووقار ونسك وذل فدخل الشام والسواحل فلم يتم له مراد . فتوجه إلى بلاد العجم وتكلم مع أهل الجبال والغتم والجهلة وقصد قلعة ألاموت وهي حصينة وأهلها ضعاف العقول فقراء وفيهم قوة فقال لهم : نحن قوم زهاد نعبد الله في هذ الجبل ونشتري منكم نصف هذ القلعة بسبعة آلاف دينار ! .

فباعوه إيّاها وأقام بها هو وجماعته فلما قوي استولى على الجميع وبلغ عدده قومه ثلاث مائة ونيفاً وانصل بمالك تملك الناحية أن ههنا قوماً يفسدون عقائد الناس وهم في زيّد فجاء إليهم ونزل عليهم وأقبل على سكره ولذاته فقال رجل من قوم صبايح اسمه عليّ اليعقوبي : أي شيء لي عندكم إن أنا كفيتكم مؤونة هذ العدو ؟ قالوا : نذكرك في تسابيحنا ! .

قال : فنزل من القلعة ليلاً وقسم الناس أرباعاً في نواحي العسكر ورتب معهم طبولاً وقال : إذا سمعتم الصباح فاضربوا الطبول ! .

ثم انتهر الفرصة من عزّة الملك وهجم على قتلته فقتله فصاح أصحابه فقتل الخواصّ عليّاً وضرب أولئك بالطبول فأرجفوا الجيش وهجموا على وجوهم وتركوا الخيام ومات فيها فنقلوا الجميع إلى القلعة وصار لهم أموال وسلاح واستفحل أمرهم .

وأما نزار فخافت عمته منه فعاهدت أعيان الدولة على قتله وتولى أخوه الأمر وصار أهل ألاموت يدعون لنزار وأخذوا قلعة أخرى وتسرع أهل الجبل من الأعجام إلى الدخول في دعوتهم وباينوا المصريين لكونهم قتلوا نزاراً وبنوا قلعة ثالثة واتسعت بلادهم

وأظهروا شغل الهجوم بالسكاكين على الملوك سنة اليعقوبي فارتاع منهم الملوك وصانعوهم بالتحف والهدايا وبعثوا داعياً من دعائهم في الخمس مائة أو مائة بعدها إلى الشام يعرف بأبي محمد فملك بعد أمور جرت له قلاعاً من جبل السُّماق وكان في يد النصيرية وقام بعده سنان هذ . ولمّا طال انتظار نزار على القوم الذين دعاهم صبايح قال : إنّه بئس أعداء وبلاد شاسعة ولا يمكنه السلوك وقد عزم على القدوم خفية في بطن حامل ويجيء سالماً ويستأنف الولادة . فرضوا بذلك . ثم إنّه أحضر جارية مصرية قد أحبلها وقال : قد اختفى في بطن هذ .

فأخذوا بعظمونها ويتخشعون فولدت ولداً فسمّاه حسناً .

فلماذا تسلطن خوارزم شاه محمد بن تكش وفخم أمره قصد بلادهم وقَدَّ حكم عليهم بعد الصِّباح ابنه محمد ثُمَّ بعده الحسن بن محمد بن صِبَّاح فرأى الحسن من الحزم التظاهر بالإسلام وذلك في سنة سبع وست مائة فادَّعى أنَّه رأى عليّاً في النوم وقَدَّ أمره بإعادة شعار الإسلام من الصلاة والصيام والأذان وتحريم الخمر وقال لقومه : أليس الدين لي ؟ قالوا : بلى ! .

قال : فتارةً أرفع التكاليف وتارةً أضعها فأطاعوه . فكتب بذلك إلى بغداد والنواحي وأدخل بلاده الفقهاء والمؤذنين وجاء رسوله ونائبه صحبه رسول الخليفة الملك الظاهر إلى حلب بأن يقتل النائب الأوَّل ويقيم هَذَا النائب لَهُ عِلَّاهُ القلاع السَّتِي لهم بالشام فأكرمهم الظاهر وخلصوا بإظهارهم الإسلام من خوارزم شاه . ومن شعر سنان المذكور من السريع : .

أَلْجَأَنِي الدَّهْرُ إِلَى مَعْشَرٍ ... مَا فِيهِمْ لِلْخَيْرِ مَسْتَمْتَعٌ .
إِنْ حَدَّثُوا لَمْ يُفْهَمُوا سَامِعاً ... أَوْ حُدِّثُوا مَجَّوًّا وَلَمْ يَسْمَعُوا .
تَقْدَمِي أَخْرَنِي فِيهِمْ ... مَنْ ذَنْبُهُ الْإِحْسَانُ مَا يَصْنَعُ .
قال كمال الدين ابن العديم : أنشدني بهاء الدين الحسن بن إبراهيم بن الخشَّاب قال :
أنشدني شيخ من الإسماعيلية قال : أنشدني سنان لنفسه من السريع : .
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَمَا أَقْلَهُمْ ... وَمَا أَقْلُ فِي الْقَلِيلِ الذُّجَبَا .
لَيَنْذَهُمْ إِذْ يَكُونُوا خُلُقُوا ... مَهْذَّبِينَ صَحَبُوا مَهْذَّبَا .
وكتب إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيُّوب جواباً من البسيط : .
يَا ذَا السَّذِي بِقِرَاعِ السِّيفِ هَدَّ دَنِي ... لَا قَامَ مَصْرَعُ جَنْبٍ أَنْتَ تَصْرَعُهُ .
قَامَ الْحَمَامُ إِلَى الْبَازِي يَهْدِّدُهُ ... وَكَشَرَّتْ لِأَسْوَدِ الْغَابِ أَضْبُعُهُ .